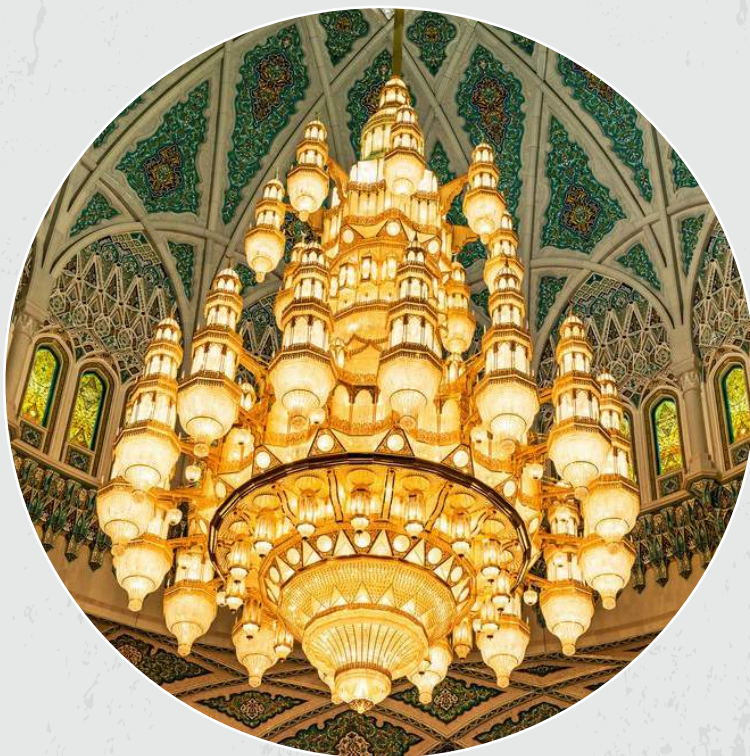


افتتاحية العدد ..

كيف تستفيد علوم الوحي من اليقظة الإبتيمولوجية المعاصرة؟

عبد الرزاق بلعقرون، رئيس التحرير



الدروب التي تخلّقت في نسق الرؤية الحديثة إلى العالم، وانتهت إلى الإقرار بأن نمط المعرفة الحديث، وجهازها التأويلي للعالم ليس يقينًا تُنتجُه الذات المفكرة؛ وإنما هو اختيار منهجي، ضمن سياق تاريخي وسقف معرفي مخصوصين، وتولدت تبعًا لهذه اليقظة الإبستمولوجية مفردات وصفية تعكس نمطًا وجوديًا قَلْبًا مثل: حدود العقل، حدود المعرفة، أزمة النماذج المعرفية، الثورات العلمية، ضدّ المنهج، أزمة الأسس، وهم التقدّم، ظلام الأنوار، لدغة الأنوار، أزمة المعنى، أزمة البيئة... الخ.

وإن لب الأزمة هنا، يتمثّل في هذا التّسيان لسؤال البدء بما هو بدء اختياري، وليس لازمة وجودية حتمية، وانخرطت منظومة العلوم ضمن هذا المسار العقلاني، الذي نسج صورة العالم برؤية عقلانية/ علمية/ مادية/ تقدّمية. أفضت إلى الإقرار بأن محرّكات العقل الحديث، التي كانت محرّكات للتقدم التاريخي، قد أنتجت تناقضًا في مفعولاتها وآثارها؛ فالعلم قد تجاوز

تستأنف مجلة نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، جُهدتها المنهجية وخريرتها الإشكالية التي نهضت لأجل التفكّر فيها، ولأجل بلورة أدوات منهجية تكاملية؛ تنطلق من الإيمان بوحدة المعرفة، وبتكاملية المعارف، وتعددية المناهج القاصدة، من أجل إصابة الحقيقة نظريًا، والعمل بها سلوكيًا.

ذلك أن القلق المنهجي في السياق المعرفي المعاصر، ليس مخصوصًا بالمجال التّداولي الإسلامي فحسب، وإنما يسكن - أي هذا القلق المنهجي - أيضًا في نسيج منظومة المعارف التي تطالعنا بها الإبستمولوجيات المُعاصرة، التي تشهد أزمة عميقة، مردّها البعيد إلى طبيعة الأسس التي انطلقت منها الرؤية الحديثة إلى العالم، بما هي رؤية علمية، انتهت كما يقول كانط إلى التهور في استخدام العقل، وإلى التّقة المطلقة في مناهج العلم الحديثة.

إلا أنّ اليقظة الإبستمولوجية المعاصرة قد لفتت النظر إلى محدودية هذه

إن الإيستيمولوجيا المعاصرة، وإن أبانت عن يقظة ووعي بحدود التّمودج العلمي الحديث، إلا أنّ جهودها العلاجية انحصرت في النّقد والاعتراض على حال الإنسان، وحال نواتجه الثقافية: المعرفية والأخلاقية والجمالية، وانحصر رهانها المركزي على أن الخروج من هذه الأدواء يتطلّب تبني سياسة حضارية، أو مصفوفة من الأوامر التي لا تريد من جهة الاعتناق الجذري عن المكاسب الإيجابية لنمط المعرفة الحديث، ولا تريد أن تُواصل في الطّريق الذي أنتج لها المآزق والأزمات من جهة أخرى؛ وإمّا ترغب في أن تفتح دربًا ثالثًا، يُقدّر الطّابع التركيبي للحياة، والطّابع التركيبي للوعي، ويُطوّر تبعًا لهذا المنظور مناهج مركبة، وصيغ وجود مركبة، وعقلانية مركبة، تعي الوجود بصورة متكاملة، وتعيد ترتيب نظام الأشياء ترتيبًا عادلًا، لا يطغى فيه الروحيُّ على حساب الحسيِّ، ولا الحسيُّ على حساب الروحيِّ؛ وإمّا ترتيب حكيم، يُسَلِّم بالمنهجية التي يتزامن فيها الوجود الحيوي والوجود الروحي،

دوره الذي وُضع له في الأصل، أي الوعي بنظام العالم، وانخرط في سياسة خفية ماكرة، قوامها أن العلم هو أداة خلاص الإنسان، ومسلكه في التقدّم، والمنبع الذي يهبه المعنى والقيمة.

إلا أنّ حركة الوعي التّقدي بأنماط العلم الحديث، قد كاشفت هذه الأوهام المُلزمة، ولم تعد القيم العلمية قيمًا صلبة، إذا ما استعرنا مفاهيم زيغمونت باومان؛ لأنّ فعل الإذابة والصّهر قد اجتاحتها، ليس لأنّ حركة النقد الحديث تكره الصلابة في حد ذاتها؛ بل لأنّ هذه البنى لم تكن صلبة بما فيه الكفاية، كما حلّ ذلك باومان^(١).

إلا أنّ حركة الوعي التّقدي بأنماط العلم الحديث، قد كاشفت هذه الأوهام المُلزمة، ولم تعد القيم العلمية قيمًا صلبة، إذا ما استعرنا مفاهيم زيغمونت باومان.

(١) انظر: باومان، زيغمونت، الحداثة السائلة، ترجمة حجاج أبو جبر، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، (٢٠١٦).

يُفهم منه، في المقابل، التّظر بعين التّبجيل لجلّ الموروث المعرفي الإسلامي، والاستناد إلى سلطته المرجعية في الإجابة على أسئلة هذا الزّمان؛ إذ الانغراس في التراث والاتكال على مقولاته واجتهاداته دون عين فاحصة، يجعل من هذا التراث نائبًا عن العقل المسلم المعاصر في الإجابة عن أسئلة العصر، وناطقًا باسمه في سياق تحولات نوعية لخريطة التفكير الإنشائية، التي أضحت تتطلّب تطوير حقائق ومفاهيم وقوانين ونظريات، تختبر الاجتهادات التراثية وقيمتها التفسيرية وفق معيارية النّموذج المعرفي الأكبر، ووفق الأسئلة النوعية التي يطرحها الزمن الحي. وبهذا، فإن هذا التّفكير الثنائي بين علوم الوحي أو النّموذج المعرفي الأكبر، وبين الدراسات الإنشائية هو الطريق الثالث، الذي يجعل العقل المسلم لا يرتهن في حركته التّفكيرية إلى مقالات التراثيين، أو إلى مقالات الحدائين؛ وإمّا يرسو على الأسباب الفاعلة أو الحيّ الفعال في كلا النّموذجين، بما هو طاقة خلّاقة إبداعية، أو قانون منهجي يروم

وتتزامن استلزامًا من هذا التصور مقولة الضّمير ومقولة الطبيعة، درءًا للتعارض المذهبي بينها، وإنقاذًا لنظام العدل بين الأشياء.

إن الخط المنهجي التي تبنته مجلة نماء يساق هذه اليقظة الإستيمولوجية المعاصرة، ويقتطف من ثمراتها المنهجية الرّؤى والأدوات، بما يجد له مكانًا مناسبًا، وبما يحفظ الاتساق بين مفردات الوجود، والتّكامل بين منظومة العلوم.

إن الخط المنهجي التي تبنته مجلة نماء يساق هذه اليقظة الإستيمولوجية المعاصرة، ويقتطف من ثمراتها المنهجية الرّؤى والأدوات، بما يجد له مكانًا مناسبًا، وبما يحفظ الاتساق بين مفردات الوجود، والتّكامل بين منظومة العلوم.

ويجدر التنويه هنا، أن نقد النّهيات الوضعية لنظام المعرفة الحديث لا

يمكن للوحي أن يَسْتَعِيدَ مناهج العلوم ونتائجها، ضمن خريطة النموذج المعرفي الأكبر، من غير استحواذ تَحَكُّمي عليها، مع الإبقاء على حركتها الباحثة عن البناء الذي يُشكّل عمارة الوجود، وبهذا الإجراء المنهجي أيضًا، نَخْرُجُ من دائرة الانفصال المعرفي والاختزال المنهجي، إلى دائرة التركيب كروية منهجية تؤلّف بين المبادئ المتعارضة، وتلك هي المهمة المُقَدَّرَة على روح التّكامل بين علوم الوحي والعلوم الإنسانية.

ولما كان الوحي مُعْطَى متعالياً؛ فإنَّ إمكانات الانفتاح عليه والاعتراف به تبدو مشروعة، وبهذه الخطوة المنهجية يمكن للوحي أن يَسْتَعِيدَ مناهج العلوم ونتائجها، ضمن خريطة النموذج المعرفي الأكبر.

وقد جاء تقسيم العدد مؤرّعاً على محاور متنوعة: فثمة محور الدّراسات خارج الملف، الذي نجد فيه بحث

التّوليفة الخلاقّة التي تنطلق من النموذج المعرفي الأكبر وقيمه الكبرى، ومن التّفاعل المنتج مع علوم الإنسان المعاصرة؛ لأنها تعكس انطلاقة الوعي الإنساني نحو عوالم الموجودات، من أجل استكناه طبائعها وقوانين حركتها التي تعبّر عن الإرادة الإلهية في صورتها التكوينية.

والعدد الثاني من مجلة نماء، جاءت موادّه العلمية حافلة بهذا الهمّ التّجديدي، من خلال الملف الموسوم بـ: «علوم الوحي وفلسفة العلم: العلاقة وحدود التّفعل»، وهو ملف رمينا من ورائه لفت النّظر وتأسيس الاشتغال المعرفي النّوعي على قيم الوحي، بحوارها المنتج مع فلسفة العلم المعاصرة في مستوى مناهج العلوم وطرق التّقْد؛ ذلك أن الروح العلمية الجديدة روح اعترافية، بمعنى أن قوامها المنهجي هو الاحتمال، والاعتراف بالممكن والمحمّل، ولما كان الوحي مُعْطَى متعالياً؛ فإنَّ إمكانات الانفتاح عليه والاعتراف به تبدو مشروعة، وبهذه الخطوة المنهجية

الأصولي والتأويلية الغربية المعاصرة»، فرام من خلال هذا البحث فك الإشكال الذي يتعلّق بالترابط بين تأويلية الأصوليين في التراث الإسلامي، وتأويلية الاتجاهات اللغوية المعاصرة؛ فهل استدعاء مناهج التأويلية المعاصرة إلى النظام البياني العربي، غرضه كسب المشروعية؟ أم من أجل إثبات الاختلاف والتباين؟

وختمت الدراسات الحرة بدراسة فكرية سينمائية لمحمد أحمد عيد، حملت عنوان: «الصورة النمطية للعرب وتشويه التاريخ الإسلامي في السينما العالمية»، حلل فيها الصورة النمطية التي تزوجها السينما الغربية عن الإسلام والمسلمين، وهي مع الأسف صورة سلبية للغاية، وذلك من خلال تحليل العديد من الأعمال السينمائية.

أما ملف العدد الذي حمل عنوان: «علوم الوحي وفلسفة العلم: العلاقة وحدود التفعيل»، فقد جاء ثرياً في إشكالاته وعلاجاته أيضاً؛ حيث

الدكتور جمعان الشهري: «النظرية الخلقية لدى ابن حزم»، ناقش فيه الصلة الضرورية بين مبحث المعرفة ومبحث الأخلاق لدى ابن حزم، وبين أن النظرية الخلقية تتجاوزها التجربة والعقل والوحي، ملفتاً النظر إلى أن الإلزام، وهو جوهر الفعل الخلفي، يكون منبعه الوحي، أما العقل والحس فهما مبيّنان لا ملزمان.

أما البحث الموسوم بـ: «تأصيل مقارنة الأديان في الثقافة العربية الإسلامية المعاصرة: مياسمها وإشكالاتها»، للدكتور المبروك المنصوري، والدكتور سليمان الشعيبي، والدكتور محمد الغاربي؛ فقد تناول أهمية الوعي بالمكوّن الديني من أجل فهم الهويات الثقافية، وهذا الفهم مشروط حصوله على توافر منهجية مركبة، تفهم الظاهرة الدينية بأبعادها، وليس بأجزائها. لأجل تأصيل هذا الفرع المعرفي في منظوماتنا الفكرية العربية الإسلامية.

وتطرّق الدكتور إسماعيل نقاز في بحثه إلى «إشكالية المقاربة بين التأويل

العلم: سؤال الاتصال والانفصال»،
والسؤال عن أهمية المساءلة الفلسفية
لبنية العلوم، والبحث في أنسابها
المعرفية والمنهجية؛ لأنَّ المباحث
التاريخية والتأصيلية حصرتها ضمن
حال التمجيد تارة، وحال التحنيط
تارة أخرى، بينما المساءلة الفلسفية
تحدد أصول المعرفة والمنهج، وتفصح
عن حدود هذه العلوم، ومدى وفائها
بحاجات الإنسانية.

أما بحث الأستاذ محمود بن راس:
«فلسفة الكلام: مبعث التجديد»، فقد
جاء مؤكِّدًا على قيمة علم الكلام،
ودوره اليوم في التصدي للتحديات
الراهنة، وهذا يتطلب تجديد مناهج
علم الكلام، وعدم الانخراط في منطق
الفتاوى التي تُنزَّله ضمن مقام الحلال
والحرام، دون وعي معرفي ببنيتها
وقيمتها، مستشهدًا بنصوص لأبي حامد
الغزالي، التي تؤكد على منفعة علم
الكلام ووجه الحاجة إليه.

أما بحث الدكتور صالح بن طاهر
مشوش، الموسوم بـ: «مقدمة في

نجد بحث الدكتور محمد همام:
«العلوم الإسلامية والإبستمولوجيا:
جدل المعرفة والأيدولوجيا مدخل
في التقويم»، تعرَّض فيه إلى مسألة
التداخل الحاصل بين الإبستمولوجيا
والرؤى الفلسفية الكامنة خلفها؛ إذ
هي تستبطن رؤى معادية للدين، ما
جعلها في خصومة مع أنساق الفكر
الإسلامي، وبالتالي لزم إعادة تقويمها
وفحصها فحصًا تحليليًا نقديًا.

أما بحث الدكتور عزيز البطيوي:
«بنية الأصول والنسق الإبستمولوجي
للعلوم الإسلامية: مسالك فلسفة
التكامل بين علم الأصول والعمران
والسير»، فقد أشار إلى الكفاءة
المنهجية للتكامل المعرفي، في سياق
استعادة الوحدة البنائية للمعرفة،
التي تقر بالاختلاف المولَّد للمعرفة
المترابطة، وتعبر عن النضج المنهجي،
والمثاقفة المبدعة، المؤطرة وفق
البراديجم الإرشادي.

واختص بحث الدكتور الحسان شهيد،
بالكلام في: «علوم الوحي وفلسفة

نظريته «الاحتمية القيمية في الإعلام»، وإشكالية أزمة القيم في نماذج الحياة المعاصرة، وجهوده ضمن هذا السياق. كما احتوى العدد تقريراً لمؤتمر «موقع الدين في بناء شخصية الإنسان»، الذي جرت فعالياته بكلية الإلهيات، جامعة أوردو- تركيا، وقد كتب التقرير الأستاذ حسين محمد.

وبالإضافة إلى ترجمتين اثنتين، تضمن العدد كذلك قراءة ومراجعة؛ كانت القراءة لكتاب: «بؤس الدهرانية: النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين»، تأليف طه عبد الرحمن، وقدمها الدكتور عبد الحلیم مهور باشة، أما المراجعة فكانت لكتاب «الحداثة السائلة»، تأليف زيغمونت باومان، قدّمها عماد الدين عشموي.

عبد الرزاق بلعقروز

رئيس التحرير



طبيعة التفكير العلمي وأصوله القبلية في ضوء القرآن الكريم»، فقد جاء كاشفاً عن الأصول الموجهة والقيم المحددة لبنية التفكير العلمي في القرآن الكريم، بما هو تفكير موصوف ب: التأليف والجمع والتكامل؛ وقائم على هذه المحددات، وليس قائماً على: التجزئة والإقصاء والتحيّز.

وجاء بحث الأستاذ محمد الإدريسي، الذي حمل عنوان: «إبستمولوجيا الظاهرة الدينية بين الاستحالة والإمكان»، في سياق التفاعل مع أدوات العلوم الاجتماعية في تعاطيها إبستمولوجياً مع التدين، ويجعل الأستاذ فارقاً بين الدين الذي تختص العلوم الدينية بدراسته، والتدين بما هو موضوع العلوم الاجتماعية، ومؤكداً على فاعلية المقاربة المتعددة الاختصاصات، في سياق التحولات المعرفية المعاصرة، لفقّه أبعاد الظاهرة الدينية.

وتضمن العدد كذلك حواراً مع البروفيسور عبد الرحمن عزي، حول